البحث الثالث

"نقد مفهوم التاريخية"

إعداد: **محمد بن رميزان بن هديف السبيعي**

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد ..

فلقد ابتليت الأمة الإسلامية منذ عهد النبوة، وحتى الآن بفرق ومذاهب وديانات، وفي عصرنا هذا زاد البلاء مع وجود اتجاهات فكرية متعددة تسعى لهدم الإسلام وتشويهه.

ومازال كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم مرجع المسلمين في كل نازلة وحكم، من عهد رسول الله وإلى قيام الساعة، يؤمنون بما جاء به على فهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى يوم الدين.

وقد اجتهد أعداء هذا الدين منذ ظهوره على الطعن في كتاب رب العالمين، بأنه سحر، أو أساطير الاولين، إلى غير ذلك من التهم الكثيرة، وعندما أعيتهم الحيل، سعوا إلى العمل على تحريفه عن مراد الله تعالى به، ولم يفتر أعداء الله عن القدح فيه بكل طريقة ووسيلة ممكنة لهم.

وكان من أواخر ما ظهر في هذا الزمان هو تلك المشاريع التي أخرجها من افتتن بثقافة الغرب النصراني، والتي تدعو إلى إعادة قراءة النصوص الشرعية قراءة حديثة توافق متطلبات العصر الحاضر وتواكبها، وكان مقصودهم من ذلك هو تفريغ النصوص الشرعية نصوص كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم من مفاهيمها، ونزع القداسة الشرعية عنها بحجة عدم مواكبتها للعصر الذي نعيشه.

وكان دافعهم لذلك كما زعموا هو أن طريق النهوض بالأمة لا يكون إلا بسلوك منهج الأمم الغربية في مواقفهم من النصوص الدينية، فأخذ مثقفو العرب يتنادون من كل حدب وصوب ليطبقوا هذه المناهج الغربية على كتاب

الله تعالى، وقد زعموا بذلك أنهم حملة لواء التجديد في فهم كتاب الله تعالى، وأن مشاريعهم التي يدعون لها هي التي تخلص الأمة الإسلامية من التخلف والجمود التي الذي حل بها وبالمسلمين.

فبرز في الفترة الأخيرة عدة مشاريع لقراءة النص الديني كان من أخطرهاعلى ثقافة المسلمين وعقيدتهم مايسمى: بالأنسنة(١)، والبنيوية(٢)، والتاريخية وغيرها من القراءات التي تستهدف القران الكريم لتجعله نص قابلاً للنقد والتمحيص بحجة النهوض بالامة وقد كذبوا في زعمهم فما فعلهم الا انحداراً بالامة للحضيض والبعد بها عن الدين الذي رفع مكانتها بين الامم حتى كانت في عصور تمسكها بهدي ربها وسنة نبيها قائدة للعالم في كل العلوم التي عرفتها البشرية.

وقد برز الخطر الواضح التي تهدف له هذه القراءات والتي تسعى جاهدة الى التشويش على الوحي الذي نزل نقياَ صافياَ من كل تحريف.

وكان من أخطرها "القراءة التاريخية" والتي يتناول مفهومها واهدفها ونقدها هذا البحث

وهو بعنوان:

"**نقد مفهوم التاريخية**"

---

(١) هي حركة أوضح سماتها السعي إلى إعلاء سلطة العقل ومقاومة السلطة والجمود، وأن مدار كل شيء طيب إلى الانسان وليس إلى الله، انظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة (١-٢٠٠)، والمعجم الفلسفي لمراد وهبه (١٠٥).

(٢) هي منهج يهدف إلى الكشف عن بنية الفكر وإلى معرفة طبيعة العلاقة التي تسود هذا العالم الكلي وتحدد نظامه، فهي تبحث في العلاقة بين الأشياء، وفي القوانين الشاملة التي تتحكم في العلاقات بين العناصر والأشياء الفردية، مستفيدة من علم اللغة ونظامها، انظر إعادة قراءة النص الشرعي سليمان الغصن،(٩٢)دار كنوز اشبيليا،الرياض.

وستتكون خطة هذا البحث:

مقدمة:

وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم التاريخية.

المبحث الثاني:مصدرية الوحي.

المبحث الثالث:صيرورة المعنى.

وخاتمة فيها أهم النتائج.

أسال الله التوفيق والإعانة والسداد.

المبحث الأول:

مفهوم التاريخية:

أصل هذه الكلمة ترجع إلى اللغة اليونانية، والتي تترجم بالإنجليزية إلى "HISTORISME" ومعناها:"وجهة نظر تقوم على اعتبار موضوع معرفي بصفته تنتجه حالية لتطور يمكن تتبعه في التاريخ"(١).

ويقال كذلك:"هي النظر إلى كل موضوع معرفي على أنه نتاج حاضر ناشئ عن التطور التاريخي"(٢).

والقراءة التاريخية لها مسميات ومصطلحات عدة، وإن اختلفت في الاسم والمصطلح، ولكن مضمونها وهدفها واحد؛ فيطلق عليها أرنخة النص، والتارخانية، ومايسمى عند الغرب بالهرمنيوطيقى- أي التأويلية، فكل هذه المصطلحات عند أصحابها هي بمعنى واحد يسعى جميعهم لتطبيقه على النصوص الدينية(٣).

❖ مفهوم التاريخية في الفكر الغربي:

ظهرت كلمة تاريخية في الفكر الغربي عام ١٨٧٢م كما ذكر ذلك محمد أركون(٤).

وإن كان هاشم صالح مترجم كتب أركون قد ذكر أن مصطلح التاريخية قد بلوره الفيلسوف"فيكو"١٦٦٨-١٧٤٤م، قبل أن ينتشر استخدامه في الأوساط الفلسفية، فقال بأن البشر هم الذين يصنعون التاريخ، وليس القوى الغيبية كما يتوهمون، ورفض أن يكون هناك حضارة قد أوحيت إلى البشر،

---

(١) موسوعة أندريه لالاند(٥٦١)،منشورات عويدات،بيروت،باريس.
(٢) معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية،جلال الدين سعيد(٨٤)،٢٠٠٤م،دار الجنوب تونس.
(٣) انظر المرجعين السابقين.
(٤) انظر الفكر الإسلامي قراءة علمية،محمد أركون(١١٦)،ترجمة :هاشم صالح،المركز الثقافي العربي.

واعترف بذلك فلاسفة جاءوا بعده منهم هيغل وكروتشه"[١].

ثم بعد ذلك أتى الفيلسوف دلتاي وأعطى الدفعة الحقيقية للاهتمام الحديث بالتاريخية..أنه بختصار أبو التصورات الحديثة للتاريخية [٢].

ثم إنه بالنظر إلى الأساس الفلسفي لجذور التاريخية نجد أنها مستمدة من الفكر الماركسي الوجودي، الذي يقوم على مفهوم المادية وهو أن الفكر هو انعكاس للمادة، والوحي داخل في هذه المادة، فلا بد أن يكون مصدر الوحي مادياَ لأنه نابع منها.

يقول الجابري في بيان مفهوم التاريخية عند الماركسية:"فالفكرة السائدة عند الماركسية الرسمية هي أن الوجود الاجتماعي للناس هو الذي يحدد وعيهم، أي نوع نظرتهم للشأن السياسي والاجتماعي، وفي هذا المعنى قال ماركس قولته المشهورة:"ليس الوعي أو الفهم الذي للناس عن أنفسهم هو الذي يحدد وجودهم الاجتماعي، بل بالعكس إن وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد هذا الوعي"[٣].

ثم بعد ذلك ظهر في القرن التاسع فلاسفة كثر من أشهرهم شوبنهور، وفريدريك نيتشه، قالوا: "بأن الانسان إن هو إلا حزمة من الدوافع الحيوانية، وبأن الإرادة والغريزة والطاقة والدوافع هي التي تحرك الإنسان، وقد تأثرت البشرية بالسلطة والأسطورة والأكذوبة أكثر مما تأثرت بالعقل والحجة"[٤].

وقد ساهمت مدرسة الحوليات الفرنسية في نشر المبادئ التي قال بها

---

(١) انظر هوامش كتاب القران من التفسير بالموروث إلى التحليل، محمد أركون(٤٧)، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت.

(٢) انظر فهم الفهم مدخل الى الهرمنيوطيقا،الدكتور:عادل مصطفى (١٤٦) (ط١)٢٠٠٧ م ، رؤية للنشر والتوزيع،القاهرة.

(٣) مقال عن التاريخية محمد الجابري على موقعه في الشبكة العنكبوتية.

(٤) الغرب والعالم (٢-٢٩٤) كافين رايلي، ترجمة عبدالوهاب المسيري، عالم المعرفة، ضمن سلسلة ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة بدولة الكويت.

الماركسيون في مفهوم التاريخية وذلك من خلال عملين هما:

الأول: التصدي لمنهجية "التاريخية الوضعية" التي كانت هي السائدة في القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين، والذي كانت تقوم عليها المدرسة الإستشراقية.

الثاني: تطوير منهجية "التاريخية الماركسية"، وتوسيع دائرة الرؤية الفلسفية التي قامت على علاقة الفكر والنظام المعرفي لواقع المرحلة التاريخية التي يظهر فيها(١).

فكان من الأولويات التي كان يراد من مفهوم التاريخية أن يرسيها في الغرب أمران:

الأمر الأول: نفي الحقيقة المتعالية والمطلقة ، ونفي امتلاكها ووجودها .

الأمر الثاني: القطيعة المعرفية مع التراث(٢).

هذا هو مفهوم التاريخية عند الغرب الأروبي وأهدافها التي من أجلها قامت.

---

(١) انظر التاريخ الجديد(١٢٥-١٣٤و٤١٠-٤٣٥)إشراف:جاك لوغوف،ترجمة محمد المنصوري.

(٢) انظر الأسس الفلسفية للعلمانية،عادل ضاهر،(٥٥)،دار الساقي،ط٣، ١٩٩٨م، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية(١-٥٨)عبدالوهاب المسيري،والحداثة ومابعد الحداثة(٢١٨-٢١٩)فتحي التريكي.

❖ **مفهوم التاريخية في الفكر العربي**:

انتقل مفهوم التاريخية من الفكر الغربي إلى الفكر العربي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

والمتتبع لتأثر العالم العربي بهذه المشاريع، يجد أنه قد مر على العالم العربي فترة تميزت بشيوع مصطلح "القراءة" بوصفها موقف من النصوص الشرعية مرادف التأويل، ووجهت وجهة كاملة لدراسة القرآن الكريم، برلالة خاصة تقوم على مناهج النقد الأدبي الحديث للنصوص، وبرزت في قراءات محمد أركون، ونصر أبوزيد، وعبدالمجيد الشرفي وغيرهم، ممن تأثر بالأفكار الغربية، الهادفة إلى محاربة الإسلام.

وقد اعتمد أصحاب هذا التوجه على تفسير المفردات دون النظر إلى سياقات الآيات، ثم إعادة تفسير الكليات الشرعية بتفسير جديد يحيل إلى معاني جديدة(١).

فنقل مثقفو العرب المتأثرون بحضارة الغرب، والذين لهم صلة وثيقة بالثقافة الغربية، هذا المفهوم وحاولوا تطبيقه على كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، لأنهما مدار الإسلام والتي تقوم عليهما قواعده، وهم بذلك لم يأتوا بجديد غير نقل ثقافة الغرب الذي ضيع دينه، وصُدم بدين محرف يصادم الفطر والعقول، لكي يحاكموا إليها نصوص الشريعة المعصومة والمحفوظة من الزلل والخطأ والتحريف.

ولذلك لم تظهر كلمة التاريخية في كتابات العرب بمفهومها المعروف إلا مع بداية كتابات عبدالله العروي في كتاب"العرب والفكر التاريخي" سنة

---

(١) انظر كتاب النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر(٢٠٦)قطب الريسوني،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب ، (ط١) ١٤٣١هـ ، ومقال"المناهج الحديثة في قراءة النص الشرعي،قراءة نصر ابوزيد انموذجاً ، سليمان الضحيان،على الشبكة العنكبوتية.

١٩٧٣م، هذا بالنسبة لبداية ظهور المصطلح[١].

أما بالنسبة للمفهوم فيقول محمد أركون:"إن التاريخية ليست مجرد لعبة ابتكرها الغرب من أجل الغربيين، وإنما هي شيء يخص الشرط البشري منذ أن ظهر الجنس البشري على وجه الأرض، ولا توجد طريق أخرى لتفسير أي نوع من أنواع ما ندعوه بالوحي، أو أي مستوى من مستوياته خارج تاريخية انبثاقه وتطوره، أو نموه عبر التاريخ، ثم المتغيرات التي تطرأ عليه تحت ضغط التاريخ، إن التاريخية أصبحت اللامفكر فيه الأعظم للفكر الإسلامي"[٢].

فأركون يرى التاريخية هي السبيل الوحيد لتفسير نصوص الوحي بحسب الواقع الذي يعيشه المجتمع.

ولا يخفى على كل عاقل أن هدف العلمانيين من التأكيد على تاريخية القرآن الكريم هو السعي الحثيث إلى تجاوز المفاهيم والعقائد والتشريعات التي يدل عليها القرآن هذا من جهة.

ومن جهة أخرى نزع القداسة عن القرآن من أجل أن يعامل كباقي النصوص من حيث التسلط عليه بالنقد والتشكيك في الثوابت العقدية التي جاء بها.

يقول هاشم صالح :"مفهوم التاريخية غير وارد على الإطلاق بالنسبة للوعي الإسلامي التقليدي، فالنصوص الدينية تتعالى على التاريخ، ولكن البحث التاريخي الحديث يثبت لنا أن القرآن مرتبط بظروف عصره وبيئته"[٣].

فهاشم صالح يرى أن النصوص الدينية عند المسلمين لا تقبل النقد أو

---

(١) انظر العرب والفكر التاريخي،عبدالله العروي ،(٦٨-١٧٦-١٩٦)،(ط٢)المركز الثقافي العربي،بيروت.
(٢) القران من التفسير بالموروث إلى تحليل الخطاب الديني(٤٨).
(٣) انظر المصدر السابق هامش رقم (١٤).

التشكيك في مصدرها الإلهي، ولكن بتطبيق هذه النظريات التي جاء بها على هذه المصادر سوف يكون القرآن محصوراً في العصر والبيئة التي نزل القرآن فيها!! ومن ثم تفسير القرآن بحسب الزمان الذي تؤخذ فيه النصوص ويتعامل معها.

ثم يلخص أركون مفهوم التاريخية بقوله: "إنها تعني"التحول والتغير" أي تحول القيم، وتغيرها بتغير العصور والأزمان"(١).

فأركون يسعى جاهداً إلى جعل النص الشرعي عبارة عن مجموعة متغيرات يفسر بحسب العصر الذي يعاش فيه، ويفسر النص بما يوافق الواقع الثقافي والاجتماعي لذلك العصر.

ويؤكد علي حرب على هذا المعنى فيقول: "التاريخية تعني أن للأحداث والممارسات والخطابات أصلها الواقعي، وحيثياتها الزمانية والمكانية، وشروطها المادية والدنيوية، كما تعني خضوع البنى والمؤسسات والمفاهيم للتطور والتغير، أي قابليتها للتحويل والصرف وإعادة التوظيف"(٢).

ويقول هاشم صالح: "فالشيء ما إن تنكشف تاريخيته حتى يصبح من السهل تجاوزه"(٣).

فالهدف واضح من كلامه أن تطبيق مفهوم التاريخية على القرآن يجعل من تخطي ما جاء به القرآن الكريم من عقائد وأحكام سهلا.

لذلك نجد أن نصر حامد أبو زيد يكرس هذا المعنى ويبين مفهوم التاريخية فيقول:"التاريخية تعني الحدوث في الزمن، إنها لحظة الفصل والتمييز بين الوجود المطلق المتعالى، نقصد بذلك الوجود الإلهي، والوجود

---

(١) نقد العقل الإسلامي،محمد اركون،(٢٦)، ترجمة وتعليق:هاشم صالح،دار الطليعة، بيروت .
(٢) نقد النص،علي حرب،(٦٥).
(٣) الإسلام والانغلاق اللاهوتي،هاشم صالح،(٤٨)،دار الطليعة،بيروت.

المشروط الزماني، وقولنا بأن العالم حادث أو محدث يعني زمانيته، وتاريخيتة إذن محايث لوجود العالم أو إيجاده"(١).

وقد عُرف مفهوم التاريخية كما هو في المعاجم الفلسفية بأنها: "النظر إلى كل موضوع معرفي على أنه نتاج حاضر ناشيء عن التطور التاريخي"(٢).

ويقترح الدكتور الطعان تعريفاً للتاريخية بأنها: "إخضاع الوجود بما فيه لرؤية زمكانية قائمة على الحتمية والنسبية والصيرورة"(٣).

ومن خلال النصوص السابقة التي تناولت مفهوم التاريخية نستطيع أن نحدد معالم هذا المفهوم في الفكر العربي من خلال أمرين تتضمنهما هذه النصوص:

الأمر الأول: دعوى تاريخية دلالات النصوص الشرعية (القرآن الكريم والسنة النبوية).

الأمر الثاني:دعوى تشكل النص ذاته من خلال تاريخه الذي وجد فيه.

يقول نصر أبو زيد: "إن الخطاب الإلهي خطاب تاريخي، وبما هو تاريخي فإن معناه لا يتحقق إلا من خلال التأويل الإنساني، إنه لا يتضمن معنىً مفارقاً جوهرياً ثابتاً له إطلاق المطلق وقداسة الإله"(٤).

لأن القول بقداسة القرآن، وأنه وحي من الله تعالى، والاعتراف بذلك يبطل فكرة مشروعهم الذي يهدف العلمانيون إلى تطبيقه على كتاب الله تعالى، وهو تخليص الأحداث من الغيبيات والايمان بها، وأنها أساطير كما

---

(١) النص والسلطة والحقيقة،نصر حامد أبوزيد(٧١)،(ط١)،١٩٩٥م،المركز الثقافي العربي ،بيروت.
(٢) معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية،(٨٤)جلال الدين سعيد.
(٣) العلمانيون والقرآن الكريموتاريخية النص،الدكتور:احمد إدريس الطعان ،(٣٠٥)،(ط١)١٤٢٨هـ،دار بن حزم،الرياض.
(٤) النص والسلطة والحقيقة (٣٣).

يزعمون وإعادتها في نسقها التاريخي وإطارها الذي حصلت فيه.

ويقول طه حسين : " ليس القرآن إلا كتاباً ككل الكتب الخاضعة للنقد؛ فيجب أن يجري عليه ما يجري عليها، والعلم يحتم عليكم أن تصرفوا النظر عن قداسته التي تتصورونها، وأن نعتبره كتاباً عادياً فتقولوا فيه كلمتكم.."[١].

فالهدف الحقيقي من مشروعهم الذي يهدفون إليه من خلال القول بتاريخية القرآن ليس تقويم المعاني وتفسيرها، وإنما الهدف منه تفكيك المعاني بالبحث عن أصول هذا القرآن، وكيف كان إنتاجه، فهم يريدون القول بأن القرآن منتج ثقافي بشري خاضع للنقد.

يقول هاشم صالح: "ومعلوم أن الخطاب القرآني كان قد برع في التغطية على هذه التاريخية عن طريق ربط نفسه باستمرار بالتعالي الذي يتجاوز التاريخ الأرضي كلياً أو يعلو عليه"[٢].

فمراده أن التعامل مع القرآن يجب أن يكون على أساس أنه ليس نصا مقدسا نزل من عند الله تعالى، وإنما يكون التعامل معه كنص بشري ليس له احترام أوقداسة تجعله فوق النقد الموجه له.

هذا هو مفهوم التاريخية في الفكر العربي الذي يقوده العلمانيون العرب .

---

(١) العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب،محمد الناصر، (١٦٠) ، (ط٢) ، ١٤٢٢هـ ، دار الكوثر.

(٢) انظر هوامش كتاب القرآن من التفسير بالموروث إلى تحليل الخطاب الديني(٢١).

المبحث الثاني

"مصدرية الوحي

الوحي في اللغة:

يطلق على الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي،وكل ما ألقيته إلى غيرك"(١).

وعلى هذا فالوحي يشمل في معناه من حيث اللغة عدة معاني هي:

١- وسوسة الشيطان وتزيينه للشر في نفوس بني آدم كما قال تعالى مخبراً عن ذلك [وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾] سورة الانعام.

٢- الإلهام الفطري للإنسان،كالوحي الحاصل لإم موسى عليه السلام، قال تعالى: [وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾] سورة القصص.

٣- الإشارة السريعة كإيحاء زكريا -عليه السلام- إلى قومه، قال الله تعالى: [فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾] سورة مريم.

٤- الإلهام الغريزي لبعض الحيوانات،كالوحي إلى النحل، قال تعالى: [وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾] سورة النحل.

أما الوحي الشرعي فهو:

"كلام الله تعالى المُنزلُ على نبي من أنبيائه"، هذا تعريف له بمعنى اسم المفعول أي الموحي.

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور(١٥-٣٧٩)،(ط٣)،١٤١٩هـ، دار احياء التراث العربي، بيروت،لبنان،وتاج العروس،محمد بن محمد بن المرتضى الزبيدي(٢٠-٢٧٩)، تحقيق:علي هلالي،(ط٢)،١٤٠٧هـ،طبعة الكويت.

أما الوحي بالمعنى المصدري فهو: "إعلام الله عزوجل من يصطفيه من عباده ما أراد من هداية بطريقة خفية سريعة"(١).

والإيمان بالوحي وأنه من عند الله تعالى أمر متفق عليه عند المسلمين، بل لا يكون الإنسان مسلما حتى يعتقد ذلك.

إلا أن الحداثيين ما فتروا عن التشكيك في مصدر هذا القرآن، وأنه ليس بكلام الله تعالى، وأنه من عند محمد صلى الله عليه وسلم، وسوف أذكر كلامهم عن مصدرية الوحي فيما يلي:

❖ **مصدرية الوحي عند الحداثيين والعلمانيين**:

ينطلق الخطاب العلماني المبني على مفهوم التاريخية للنصوص الشرعية في كثير من أفكاره وأطروحاته إلى القول ببشرية الوحي، وأن الله تعالى لم يتكلم بهذا القرآن الموجود، وإنما هو قول بشري خضع للظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية والتاريخية لتلك الفترة من الزمن.

ولا يزال هذا الطرح هو الحاضر في الفكر الحداثي حتى هذا الوقت، وهذا من أجل تشكيك الأمة في ثوابتها، فيسهل بعد ذلك الفصل بين حاضر الأمة وماضيها.

لأنه بمجرد ترسيخ فكرة بشرية القرآن الكريم عند الناس، وأنه ليس بكلام الله وتُنزع عنه القداسة سوف يسهل بعد ذلك عزل هذا الوحي عن حياة الأمة، وعن التأثير في الواقع الذي تعيشه، ويحل بدلاً عنه أطروحات المتأثرين بالفكر الغربي المعادي للإسلام وأهله.

ويؤكد نصر أبو زيد ذلك بقوله: "إن القول بإلهية النصوص، والإصرار على طبيعتها الإلهية تلك، يستلزم أن البشر عاجزون بمناهجهم عن فهمها، ما لم تتدخل العناية الإلهية بوهب بعض البشر طاقات خاصة تمكنهم من

---

(١) انظر مباحث علوم القرآن مناع القطان (٢٩)، (ط٧)مكتبة وهبة، القاهرة.

الفهم...، وإذا كنا هنا نتبنى القول ببشرية النصوص الدينية، فإن هذا التبني لا يقوم على أساس نفعي أيديولوجي يواجه الفكر الديني السائد والمسيطر، بل يقوم على أساس موضوعي يستند إلى حقائق التاريخ؛ حقائق النصوص ذاتها"(١).

ويقول كذلك في كيفية التعامل مع نصوص الوحي لكي يسهل التجرؤ عليها: "وفي التعامل مع النصوص ينتهي في التحليل الأخير إلى التعامل معها بوصفها صوراً فارغة قابلة للامتلاء بالمضمون الذي يفرضه المنهج، منهج الشعوري الذتي، وفي هذا التصور لطبيعة النص تتساوي النصوص الدينية والنصوص الفكرية الكلامية"(٢).

بل يصرح بهذا المعنى هاشم صالح فيقول: "مادام العرب عاجزين عن تفكيك الانغلاقات التراثية المزمنة المهيمنة عليهم منذ مئات السنين، فإنهم سيظلون مقيدين بالسلاسل والأغلال، وفك هذه السلاسل له ثمن غال، ألا وهو نزع القداسة الإلهية عن التراث، لكي يبدو على حقيقته التاريخية داخل التاريخ، وكنتائج للتاريخ وهذا مافعله الأروبيون، وأدى إلى انطلاقتهم وتفوقهم على شعوب الأرض قاطبة، وهذا ما يرفض أن يفعله المثقفون العرب، وترتعد فرائصهم أمامه خوفاً"(٣).

ويقول كذلك: "هذا في حين أن المسلمين يعتبرون القرآن كلام الله الحرفي الأزلي غير المخلوق، هذا هو التابو؛ أي:المحرم الأعظم الذي ينبغي كسره وتحطيمه"(٤).

---

(١) نقد الخطاب الديني، نصر حامد ابوزيد ،(٢٠٦)،(ط٢)،١٩٩٤م،سينا للنشر،القاهرة.
(٢) نفس المصدر السابق(١٣٢).
(٣) الانسداد التاريخي لماذا فشل مشروع التنوير في العالم العربي، هاشم صالح ، (ص٢٦٤) ، (ط٢)،٢٠٠٧م،دار الساقي،بيروت.
(٤) نحو نقد العقل الإسلامي، محمد أركون،ترجمة وتعليق:هاشم صالح،حاشية،(٦٩)

يقول عزيز العظمة: "النص المقدس؛ لأنه في وضع يتعالى على التاريخ مع أنه في الحقيقة يخضع للتاريخ.. لأن النصوص المقدسة ولدت في التاريخ، وبه انفعلت، وفيه أثرت، فالتاريخ مجالها، وفي التاريخ أسرارها ومكانها، ومن التاريخ أساطيرها وأسطورتها، كما أن في العلوم التاريخية والإنسانية الحديثة مفتاحها"(١).

فهو يرى أن الوحي الذي أوحى الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم إنما هو أسطورة من الأساطير التي لا حقيقة لها، وأن هذه النصوص هي نصوص أنتجها الواقع التي كانت فيه، وأثر في تكوينها وفي نشأتها.

ويقول أبو زيد:"ففي مرحلة تشكل النص في الثقافة تكون الثقافة فاعلاً والنص منفعلاً"(٢).

فالنص الشرعي الذي هو الوحي عند نصر حامد أبو زيد ومن شاكله من العلمانيين تنتجه الثقافة، والنص مخلوق من هذه الثقافة وهذا المجتمع الذي يحيط به.

ويمكن الرد على قولهم من خلال عدة أمور هي:

الأمر الأول: أن قولهم بأن مصدر الوحي بشري يلزم منه أن تكون جميع النصوص التي حصلت في زمن النبوة متشابهه ليس بينها فرق، فلا يوجد فرق بين القرآن والسنة، ولا بين القرآن والشعر، ولا بين القرآن وبلاغة العرب، لأنها بحسب قولهم منتج ثقافي أنتجته ثقافة المجتمع الذي كانوا يعيشون فيه، وهذا خلاف الواقع؛ فقد انبهر أهل الفصاحة والبلاغة من كلام الله تعالى عندما سمعوه، وعجزوا أن يأتوا بمثله، كما أخبر الله تعالى عنهم

---

(١) ندوة دار الساقي،بعنوان "الاسلام والحداثة" تحت عنوان:"النص والاسطورة والتاريخ "عزيز العظمى،عام ١٤١٠هـ.

(٢) مفهوم النص (٢٠٠).

في كتابه فقال سبحانه وتعالى:"[أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٤)]سورة هود.

الأمر الثاني: أن القول بأن مصدر الوحي إنما هو بشري يرد عليه أن في القرآن الكريم حوادث كثيرة احتاج المسلمون أن ينزل الوحي لكي يوجههم في كيفية التعامل معها، بل إنه قد أصاب المسلمين الحرج منها، ومع ذلك لم ينزل الوحي إلا بعد فترة، كحادثة الإفك، وأسرى بدر، وغيرها من الحوادث التي لو كان الأمر راجعاً للثقافة، أو للنبي لسارع في أن يجد مخرجا منها، وحكم فيها مباشرة، حتى يخرج من العنت بترك هذه القضايا معلقة فترة طويلة.

الأمر الثالث: جاء الوحي بحقائق ومعارف لم تكن محصورة بزمن النبوة، أو ثقافة المجتمع الذي كان فيه، بل تجاوز كثيراً من الأمور، وذكر غيبيات لم تحصل فحصلت بعد ذلك، سواء في زمن النبوة؛ كالبشارة بانتصار الروم على الفرس وغيرها، أو بعد زمن النبوة؛ كالبشارة بانتشار هذا الدين، وغيرها مما يثبت أن هذا الوحي هو من عند خالق الخلق سبحانه وتعالى.

الأمر الرابع: أن الهدف الرئيس من قولهم بأن الوحي مصدره ليس إلهيا هو نزع القداسة عن نصوص الوحي، لكي يسهل تطبيق مناهج النقد الحديثة عليها، فيكون ذلك طريقا إلى إزاحة الوحي من توجيه الأمة، والعمل على إحلال مناهج الغرب بديلة عنه.

والفكر الحداثي يرى أن الوحي هو عبارة عن رؤيتين مختلفتين:

الرؤية الأولى: التقليدية السطحية التي تتعامل مع الوحي على أنه حقيقة خارجة عن الواقع ومتعالية عليه، وأنها نازلة من السماء إلى الأرض.

الرؤية الثانية: الرؤية الحداثية الواعية العميقة التي تنظر إلى الوحي

نظرة مختلفة عن تلك النظرة البدائية، وتفسره تفسيراً يتناسب مع متغيرات التاريخ والثقافة[١].

❖ **ويرتكز الحداثيون على عدة مرتكزات للقدح في مصدر الوحي وهي كالتالي:**

١- إنكار وجود إله لهذا الكون تكلم بالوحي.

٢- نفي أن يكون هناك اتصال بين الله تعالى وبين أحد من خلقه في هذا الكون.

٣- تصويرهم للنبوة بأنها مكتسبة، وممكنة لكل البشر، لا فرق بين نبي وشاعر[٢].

ونقف عند كل مرتكز من هذه المرتكزات الثلاثة ليتبين لنا موقف هؤلاء العلمانيون منها مع مناقشتهم والرد عليهم:

أولاً : إنكار وجود إله لهذا الكون تكلم بالوحي:

نجد أن كبار مفكري الحداثة يرتكزون على أنه يجب البحث في صحة نسبة هذا الوحي إلى الله تعالى.

فيقول أركون:"لكي أفتتح حقلاً جديداً من التفكير تصبح فيه المزاعم التقليدية للمسيحية والإسلام معاً مُتَجاوزة عن طريق دراسة مشاكل ما قبل البعث، والصحة الإلهية للقرآن"[٣].

ويقول كذلك :"نلاحظ أن كل نظرية الإعجاز، أو الأصل الإلهي للقرآن؛ تشهد على الانتقال السري الخفي من مشكلة فكرية مثارة في الحالتين؛ أي

---

(١) أنظر :القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني(١٧)،والعلمانيون والقرآن، أحمد الطعان(٦٦٩).

(٢) انظر:كتاب العقل والتاريخ والوحي،محمد المزوغي(١٠٣-١٠٤)،٢٠٠٧م،منشورات الجمل، بيروت.

(٣) الفكر الإسلامي قراءة علمية ،محمد أركون،(٤٦).

حالة البعث، وحالة القرآن، إلى حلول تبريرية وتبجيلية"[١].

ولكن لكي يكون مراد أركون أوضح يجب أن نعرف ما هو موقفه من الله جل جلاله وتقدست أسماؤه الذي تكلم بالوحي وأنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم، فأركون يرى أنه لا وجود "فعليا" لإله في الخارج، وإنما هو وجود ذهني في عقول الناس يتغير طبقاً لتغير تصوراتهم الذهنية، كما يقول أركون:"على عكس ما تظن المسلمة التقليدية التي تفترض وجود إله حي ومتعالٍ وثابت لا يتغير؛ فإن مفهوم "الله" لا ينجو من ضغط التاريخية وتأثيرها، أقصد أنه خاضع للتحول والتغير بتغير العصور والأزمان"[٢].

وكذلك يقول أركون: "لا يمكن أن يتصور إمكانية طرح مشكلة فكرية حول الله أو مناقشة فكرية حول وجود الله، والسبب هو أن الخطاب القرآني يملأ مشاعره كمسلم أو كعربي بوجود الله، إنه يملأ أقطار وعيه ومشاعره إلى درجة أنه لا يبقى في وعيه أية مساحة لإثارة مناقشة فكرية حول وجود الله"[٣].

ويقول هاشم صالح: "إلى متى سيظل المسلمون يقمعون بالعنف والقوة والتهديد والتكفير كل من تسول له نفسه أن يطبق نفس المنهج التاريخي النقدي على القرآن..لقد ابتدأت الشكوك تظهر حول أطروحة الكتاب الهابط من السماء بقضه وقضيضه"[٤].

ويقول محمد أركون في موضع آخر: "ينبغي العلم بأنه فيما يخص الحداثة فإن الخيار لم يعد بين قبول بالدين أو رفضه، وإنما الله نفسه أصبح

---

(١) نفس المصدر السابق(٤٧).
(٢) نفس المصدر السابق(١٠٢).
(٣) الاسلام والحداثة،محمد أركون،(٣٤٤)
(٤) الإسلام والإنغلاق اللاهوتي(٧٦).

فرضية لا جدوى منها ولا حاجة إليها"[١].

ولذلك فإن السبيل الموصل إلى إثبات هذا المفهوم عند الحداثيين هو من خلال تسليط هذه القراءة التاريخية على مفهوم (الله)، وأنه مفهوم تاريخي يتغير بتغير الأحوال التاريخية والسياسية والثقافية للمجتمعات.

ففكرة الله كما يعبر عنها أركون ومن هو على شاكلته من العلمانيين هو مفهوم صنعه وشكله التاريخ الذي يطلق فيه بحسب الواقع الذي يتداول فيه هذا المفهوم.

ويقول حسن حنفي:"الله لفظ لا يساوي معناه بأي حال"[٢].

وقال كذلك في موضع آخر:"فكل ما نعتقده ثم نعظمه تعويضاً عن فقدان يكون في الحس الشعبي هو (الله)" [٣]

والحداثيون ينطلقون في إنكارهم وجود إله له اتصال بهذا الكون من الفكر الماركسي الوجودي العلماني، الذي يقوم على مقولتهم الإلحادية الشهيرة "لا إله والحياة مادة"، ويمكن أن نجمل الرد على قولهم هذا بأمور عدة:

الأمر الاول: إنكارهم لوجود إله له إتصال بهذا الكون دعوى الحادية لا دليل عليها، يقول تعالى:[۞ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ] سورة ابراهيم(١٠) أي أيُشك في الله حتى يطلب إقامة الدليل على وجودة؟.

الأمر الثاني: إن هذا الكون محكم متقن قال تعالى: :[لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي

(١) نقد العقل الإسلامي(٢٦٧).
(٢) التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم،حسن حنفي، (١١٤)، (ط٤) ، ١٩٩٢م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشروالتوزيع، بيروت.
(٣) نفس المصدر السابق(١١٣)

لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾] سورة يس(٤٠)؛ الكواكب محكمة بإتقان، والبحار لا يطغى بعضها على بعض، والمتدبر لهذا الكون وما فيه من مخلوقات متنوعة يعلم أن له خالقاً خلقه وأبدعه.

الأمر الثالث: إنكار وجود إله له صلة بهذا الكون مخالف للفطر السليمة، فإن الأنبياء عليهم السلام لم يبعثوا من أجل أن يدعو الناس للإيمان بوجود إله، فهذه فطرة فطر الله الناس عليها، وإنما بعثوا للعبادة لكي يوحدوا الله تعالى ويفردوه بالعبادة.

ثانياً: إنكار أن يكون الوحي نزل من عند الله سبحانه وتعالى:

وهو ما يعبرون عنه بمفهوم التعالى، والذي يقوم عند الحداثيين على أن الإنسان في نظرته عمودية أي أنه يتعامل مع التعالي والعلو، وينكرون أن يكون هناك اتصال من العلو بين الله سبحانه وتعالى وبين خلقه.

أو بمعنى آخر رفض مبدأ أتصال الله تعالى الذي تكلم بالقرآن عن طريق الوحي بالنبي الذي أوحى إليه هذا الكتاب.

والفكر الحداثي يرفض هذه النظرية وطريقة تعاملها، ويرى أن النظرية يجب أن تكون من الإنسان نفسه وإليه.

يقول أركون: "التصور الإسلامي للوحي: أنه يدعي بالتنزيل أي الهبوط من فوق إلى تحت، وهذا المفهوم يشكل مجازاً مركزياً، وأساسياً، يشكل النظرة العمودية للإنسان المدعو بدوره إلى الله أي إلى التعالى، ويتحدث القرآن أيضاً عن الوحي الذي يمثل فعل الظاهر ذاتها التي وجهها الله للأنبياء، وأما كلمة التنزيل فتدل على موضوع الوحي ومادته"(١).

ولذلك يقرر نصر أبو زيد بأن القرآن ليس كلام الله، بل هو كلام بشري

---

(١) الفكر الإسلامي نقد واجتهاد،محمد أركون،(٧٨) ،ترجمة وتعليق:هاشم صالح ، ٢٠٠٩م ، دار الساقي، بيروت.

فيقول: "النصوص الدينية نصوصاً بشرية بحكم انتمائها للغة والثقافة في فترة تاريخية محددة هي فترة تشكلها وإنتاجها"(١).

ويقول أركون في بيان موقفه من الوحي، وأنه ليس كلام الله تعالى ،وليس نازلاً من عند الله تعالى: "ودون أن نعتبر القرآن كلاماً آنياً من فوق، وإنما فقط كحدث واقعي تماماً، كوقائع الفيزياء والبيولوجيا التي يتكلم عنها العلماء، إن القرآن يتجلى لنا كخطاب خاص له ماديته وبنيته"(٢).

بل إن نصر أبو زيد يرى أن من أخطر الأفكار الراسخة والمهيمنة في المجتمع أن: "القرآن نزل به الوحي الأمين على محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى، وأنه نص قديم أزلي"(٣).

ولذلك فإن علي حرب يؤكد على أن مشروع محمد أركون الذي يسعي من أجل تحقيقة هو:"نزع الهالة الأسطورية، وتعرية الهيبة القدسية عما في التراث من التعالي"(٤).

وهذا القول الذي يقول به أركون ومن وافقه من الحداثيين هو مخالف لما عليه إجماع أهل الإسلام من أن الله تعالى في السماء، وأنه متكلم تكلم بالوحي وسمعه منه جبريل عليه السلام، ونزل به على محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى.

والذي قادهم إلى ذلك هو العمل على بث القطيعة بين الوحي وبين المسلمين لكي يخلو لهم بث الفكر العلماني في أوساط المسلمين.

ولذلك يقول هاشم صالح في توضيح الهدف الذي يسعون إلى تطبيقه

---

(١) مفهوم النص(٢٠٩).
(٢) تاريخية الفكر العربي،محمد أركون،(٢٨٤)،ترجمة وتعليق:هاشم صالح ، (ط٢) ،١٩٩٦ م، مركز الإنماء القومي،بيروت.
(٣) النص والسلطة(٦٧).
(٤) نقد النص(٨٦).

:"لقد آن الأوان للكشف عن تاريخية النص القرآني وإنزاله من تعاليه الفوقي إلى الواقع الأرضي المحسوس، آن الاوان للكشف عن علاقته بظروف محدودة تماماً في شبه الجزيرة العربية وفي القرن السابع الميلادي"(١).

وهذا القول هو إنكار لوجود كلام الله تعالى نازل من فوق له قداسته، تكلم الله تعالى به، وسمعه منه جبريل عليه السلام، وتكفل الله تعالى بحفظه من كل زيادة ونقص وتحريف، مبني على إنكارهم وجود إله لهذا الكون تكلم بالوحي، وأرسل به رسوله للخلق ليتبعوه فتحصل لهم السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة.

ثالثاً: مفهوم النبوة عند الحداثيين:

للحداثيين مفهوم خاص بالنبوة هو امتداد لمفهوم النبوة عند أسلافهم من الفلاسفة، وهو أن النبوة هي القوة الخيالية التي تكون في الأنبياء والشعراء، وبذلك فهم لا يفرقون بين الأنبياء وبين الشعراء.

فالنبوة عندهم صفة مكتسبة، وقدرة خاصة، باستطاعة أي إنسان أن يكون نبيا، فهم لا يرون أن النبوة إصطفاء من الله تعالى لأحد خلقه.

يقول نصر حامد أبو زيد: "فالنبوة بالضرورة ذات طابع ديني، ففي الشعر نبوءة، وهذا شاعر كأدونيس يذهب إلى أنه نبي وثني، والقرآن هو في النهاية شكل من أشكال النبوة، أياً كان مصدر المعرفة النبوية"(٢).

ويقول أيضاً نصر أبو زيد: "فالأنبياء والشعراء والعارفون قادرون دون غيرهم على استخدام فاعلية المخيلة في اليقظة والنوم على السواء، وليس معنى ذلك التسوية بين هذه المستويات من حيث قدرة المخيلة وفاعليتها، فالنبي يأتي على رأس قمة الترتيب، ويليه الصوفي العارف، ثم الشاعر في

---

(١) الإسلام والانغلاق الاهوتي(٢٤٨).
(٢) مفهوم النص(١٢١).

نهاية الترتيب"[١].

ويقول أركون: "الأنبياء كالشعراء والكبار"[٢].

فالنبوة عندهم بمقدور أي شخص أن يتحصل عليها إذا كانت القوة الخيالية عند كبيرة.

ويؤكد عبدالمجيد الشرفي على هذا الاعتقاد في الوحي والنبوة فيقول: "حالة استثنائية يغيب فيها الوعي وتتعطل فيها الملكات ليبرز المخزون المدفون في أعماق اللاوعي بقوة خارقة لا يقدر النبي على دفعها ولا تتحكم فيها إرادته"[٣].

فهو بذلك يريد أن يصل من خلال كلامه أن الرسول هو الذي أنتج الوحي من عند نفسه بسبب هذه الحالة التي تأتيه من غير اختيار لها، فليس الوحي عنده من الله تعالى.

ويقول إلياس قويسم في توضيح موقف نصر أبو زيد من النبوة والوحي: "بهذا المعنى تصبح النبوة ومن ورائها الوحي ظاهرة ثقافية بشرية تستمد شرعيتها من الموروث المترسخ في المخيال الجمعي للمجتمع الذي ظهرت فيه لا كما يعتقد الخطاب السلفي أنها ظاهرة مفارقة للوجود التاريخي"[٤].

والذي يدعوهم إلى القول بأن النبوة ليست اصطفاءً من الله تعالى لعبده هو مبني على الفكرة الماركسية في إنكار وجود إله لهذا الكون متصرف فيه، فمجرد الإيمان بالنبوة يكون ذلك قدح في الأصل التي بنيت

---

(١) مفهوم النص(٥٦)،وانظر(٦٧-٦٨).
(٢) تاريخية الفكر العربي(٣٨).
(٣) الإسلام بين الرسالة والتاريخ،عبدالمجيد الشرفي،(٤٠)، (ط٢) ،٢٠٠٨م،دار الطليعة ، بيروت.
(٤) مقال بعنوان(تشتيت النص القرآني بين الثقافة والتقليد والحداثة العلمية)،إلياس قويسم ، على الشبكة العنكبوتية.

عليه عندهم، فالنبي لا بد أن يكون مرسلا من عند إله، وهذا هو ما ينكرونه، فليس لهم مخرج إلا بالقول أن النبوة هي عبارة عن قوة الخيال لدى الشخص الذي تقوم به.

والهدف من القول بأن النبوة مكتسبة، وأن القرآن هو من عند النبي، هو نزع القداسة عن الوحي حتى يتم التعامل معه كالنصوص الأدبية والثقافية والتاريخية من حيث النقد والتحليل والرد عليها.

فالوحي والنصوص الشرعية ليست نصوصاً يمكن للباحث العلماني المادي الذي تنكر لدينه وأمته أن يخضعه لأدواته ومشاريعه التغريبية التي استجلبها معه من الغرب النصراني ليحاد بها دين الله تعالى.

المبحث الثالث:

لا نهائية المعنى في الوحي عند الحداثيين:

حاول الحداثيون التفلت من دلالة القرآن الكريم بالقول أن القرآن يحتمل في ألفاظه كل المعني.

يقول أركون في ذلك: "إن القرآن هو عبارة عن مجموعة من الدلالات والمعاني الاحتمالية المقترحة على كل البشر، وبالتالي فهي مؤهلة لأن تثير أو تتيح خطوطاً واتجاهات عقائدية متنوعة بقدر تنوع الأوضاع والأحوال التاريخية التي تحصل فيها أو تتولد منها"(١).

ويقول كذلك :"القرآن نص مفتوح على جميع المعاني"(٢)

ومقصوده من ذلك هو أن القرآن يحمل في معانيه جميع العقائد الصحيحة والباطلة، عقائد الإسلام وعقائد الكفر والإلحاد، والقارئ بمجرد قراءته وتوسعه في معاني القرآن سيستخرج منه معاني تؤيد رأيه واعتقاده، لأن القرآن عنده مفتوح على جميع المعاني.

فهو بذلك ينكر أن يكون القرآن هدى للناس يهديهم إلى العقائد الصحيحة ويحذرهم من العقائد الباطلة، ويرشدهم إلى الطريق المستقيم، ويحذرهم من طريق الغواية والكفر بالله تعالى.

وكأن سلف هذه الامة وعلماءها لم يفهموا القرآن الكريم طوال القرون التي مضت وهم ينتظرون من ترعرع في أحضان أعداء الإسلام لكي يوضح دين الله لهم ويبين لهم معانيه.

وهذا هو ديدن جميع العلمانيين في محاولة للتملص من فهم السلف للقرآن الكريم وما دل عليه من عقائد واحكام.

---

(١) تاريخية الفكر،(١٤٥).
(٢) نقد النص الديني،(٨٧).

يقول الشرفي عن نصوص الوحي: "إنه مفهوم فضفاض وغير دقيق، ذلك أن هذا المفهوم قد وظف توظيفات مختلفة...يستعمل في اتجاهات مختلة ومعارضة وأحياناً متناقضة، ففي نفس النص يمكن أن يؤول لفائدة الشيء ونقيضه، ولذلك فإن الاحتجاج بالنص ليس احتجاجاً بريئاً"(١).

ويقول أركون: "السخف الحقيقي الذي نأباه على أنفسنا أن نحدد أخيراً المعنى الحقيقي للقرآن"(٢).

بل إن علي حرب يرى أن: "النص القرآني قادر على توليد مختلف القراءات والتأويلات حتى التعارض والشقاق"(٣).

ويقول أيضاً: "مهمة القارئ الناقد أن لا يأخذ بما يقوله النص، مهمته أن يتحرر من سلطة النص لكي يقرأ ما لا يقوله"(٤).

ولذلك يقول نصر أبو زيد في أن للقارئ الحق في قراءة: "النصوص وفي إعادة تأويلها، إن تطور وعي الجماعة يجعل من النصوص إمكانية مفتوحة دائماً للتعبير عن وقائع جديدة"(٥).

ويمكن إجمال الرد على قولهم بأن الوحي ليس له نهاية في معانيه إلى عدة أمور هي:

الأمر الاول: قد سمى الله تعالى القرآن الكريم نوراً مبيناً، ووصفه بأنه هدى للناس، وحث الناس على تدبره والعمل بأحكامه، ولا يكون هذا إلا بثبات المعنى وإذا جردت الألفاظ من المعاني الثابته فلن يستطيع أحد أن يجد معاني ثابتة يستنبط من خلالها الأحكام العقدية والشرعية، وسوف تختلط

---

(١) تحديث الفكر الإسلامي،عبدالمجيد الشرفي،(٩)،٢٠٠٩م،دار المدار الإسلامي.
(٢) الوحي الحقيقة التاريخ، نحو قراءة جديدة للقرآن(٣٦) مقال مجلة الثقافة الجديدة ، محمد اركون.
(٣) نقد النص،علي حرب، (٦٣)،(ط٤)،٢٠٠٥م،المركز الثقافي العربي، بيروت،لبنان.
(٤) نفس المصدر السابق،(٢٢).
(٥) مفهوم النص،(٩٥).

المعاني صحيحها وفاسدها ببعض وينقلب القرآن الكريم من نور وهدى إلى ظلام وعمى، وهذا متناقض مع الحكمة من نزول القرآن على الناس من عند الله تعالى.

الأمر الثاني: الأصل في الكلام أن يكون دالا على المعنى المراد منه، وتجريد الكلام من معناه الظاهر يخالف هذا الأصل، ولا يخالف في هذا الأمر إلا من في عقله ضرب من الجنون، وأول من يقر بهذا الأمر هم الحداثيون الذين جعلوا لهم ألفاظا ومصطلحات يعرف معناها الظاهر والمراد منها، وهذا الأصل هو الذي بني عليه التعامل بين البشر.

الأمر الثالث: في هذا القول افتراء على الله تعالى في أنه جعل كتابه ملتبس المعاني، وهو الذي أمر عباده بأن يرجعوا إليه ويتعبدوا الله به.

الأمر الرابع: أن هذا القول يفضي في النهاية إلى ترك العمل بنصوص الوحي وتصديق ماجاء فيها من عقائد وشرائع، فتكون الأمة كلها مضيعة لأمر الله تعالى لها، أو يكون إرسال الأنبياء والرسل عبثاً ودون معنى.

الأمر الخامس: أن القول بأن المعاني لا نهاية لها ولا ثبات، يلزم منه أن تكون نصوص الوحي غير كافية لإقامة الحجة على العباد، لأن هذه الحجة غير مفهومة وغير ثابتة المعاني، وكل يوم يخرج منها معاني لم تكن في سابقتها.

الأمر السادس: أن المراد من قولهم هذا هو التفلت من الأحكام الشرعية والالتفاف عليها حتى يؤدي إلى عدم التعبد بها.

أهم النتائج:

١- أن مفهوم التاريخية هو مفهوم غربي نقل للعالم الإسلامي بقصد هدم العقائد والمسلمات الشرعية الإسلامية.

٢- ليس مقصود من ينادون بتطبيق منهج التاريخية على القرآن هو الانتفاع بما فيه من أحكام وعبادات، وإنما المقصود هو الخروج بالنص الشرعي من القداسة إلى أن يكون كغيره من النصوص الأدبية والثقافية والتاريخية التي تقبل النقد والرد.

٣- يقوم مفهوم التاريخية على إنكار أن يكون هذا القرآن هو كلام الله تعالى، وأنه نازل من عند الله تعالى على أحد من خلقه فهو نفي لحقيقة الوحي، وأنه أسطورة من الأساطير.

٤- يسعى أصحاب هذا المفهوم إلى أن معاني القرآن ليس لها نهاية.

٥- القول ببشرية النصوص الشرعية والسعي لترسيخ مفهوم عدم عصمتها من الخطأ.

٦- يسعى أصحاب هذا المفهوم إلى التحرر من سلطة الوحي ومافيه من عقائد وشرائع.

٧- يسعى هؤلاء الى إلغاء أسبقية المعنى، وأنه لا حقيقة ثابته للنص الشرعي.

٨- مشاريع القراءة التي ينادي بها المتأثرون بالغرب هي خطوات على طريق الإلحاد والكفر بالله تعالى.

هذا والحمد لله اولا واخر.

فهرس المصادر والمراجع

- الأسس الفلسفية للعلمانية،عادل ضاهر، دار الساقي، ط٣، ١٩٩٨م.
- الإسلام بين الرسالة والتاريخ، عبدالمجيد الشرفي، (ط٢)، ٢٠٠٨م ، دار الطليعة، بيروت.
- الإسلام والانغلاق اللاهوتي،هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت.
- الانسداد التاريخي لماذا فشل مشروع التنوير في العالم العربي، هاشم صالح ،(ط٢) ،٢٠٠٧م، دار الساقي، بيروت.
- تاج العروس، محمد بن محمد بن المرتضى الزبيدي، تحقيق: علي هلالي ، (ط٢) ،١٤٠٧هـ، طبعة الكويت.
- التاريخ الجديد، إشراف:جاك لوغوف، ترجمة محمد المنصوري.
- تاريخية الفكر العربي، محمد أركون، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، (ط٢) ،١٩٩٦م، مركز الإنماء القومي، بيروت.
- تحديث الفكر الإسلامي،عبدالمجيد الشرفي، ٢٠٠٩م، دار المدار الإسلامي .
- التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم، حسن حنفي ،(ط٤) ،١٩٩٢ م ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت.
- الحداثة و مابعد الحداثة، فتحي التريكي.
- العرب والفكر التاريخي، عبدالله العروي ،(ط٢) المركز الثقافي العربي ، بيروت.
- العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد الناصر، (ط٢) ،١٤٢٢ هـ، دار الكوثر.
- العلمانيون والقرآن الكريم وتاريخية النص،الدكتور:احمد إدريس الطعان ، (ط١)١٤٢٨هـ، دار بن حزم، الرياض.

- الغرب والعالم كافين رايلي، ترجمة عبدالوهاب المسيري،عالم المعرفة، ضمن سلسلة ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة بدولة الكويت.
- الفكر الإسلامي قراءة علمية، محمد أركون(١١٦) ،ترجمة :هاشم صالح ، المركز الثقافي العربي.
- الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ،محمد أركون ،ترجمة وتعليق: هاشم صالح ، ٢٠٠٩ م، دار الساقي، بيروت.
- فهم الفهم مدخل الى الهرمنيوطيقا، الدكتور:عادل مصطفى ،(ط١) ٢٠٠٧م، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة.
- القران من التفسير بالموروث الى التحليل، محمد أركون، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت
- كتاب العقل والتاريخ والوحي، محمد المزوغي ،٢٠٠٧م، منشورات الجمل ، بيروت.
- كتاب النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، قطب الريسوني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب ، (ط١) ١٤٣١ هـ.
- لسان العرب لابن منظور، (ط٣) ،١٤١٩هـ، دار احياء التراث العربي، بيروت ، لبنان.
- مباحث علوم القرآن مناع القطان، (ط٧) مكتبة وهبة، القاهرة.
- معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد،٢٠٠٤ م،دار الجنوب تونس.
- مقال بعنوان (تشتيت النص القرآني بين الثقافة والتقليد والحداثة العلمية) ، إلياس قويسم، على الشبكة العنكبوتية.
- مقال عن التاريخية محمد الجابري على موقعه في الشبكة العنكبوتية.
- مقال"المناهج الحديثة في قراءة النص الشرعي، قراءة نصر أبو زيد

أنموذجاً ، سليمان الضحيان،على الشبكة العنكبوتية.
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،عبدالوهاب المسيري.
- موسوعة أندريه لالاند، منشورات عويدات، بيروت،باريس.
- نحو نقد العقل الإسلامي، محمد أركون، ترجمة وتعليق: هاشم صالح.
- ندوة دار الساقي، بعنوان "الاسلام والحداثة" تحت عنوان: "النص والاسطورة والتاريخ"عزيز العظمى،عام ١٤١٠هـ.
- النص والسلطة والحقيقة، نصر حامد أبوزيد، (ط١) ،١٩٩٥م، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- نقد الخطاب الديني، نصر حامد ابوزيد، (ط٢) ،١٩٩٤م، سينا للنشر ، القاهرة.
- نقد العقل الإسلامي،محمد اركون، ترجمة وتعليق: هاشم صالح ،دار الطليعة ، بيروت.
- نقد النص ،علي حرب ، (ط٤) ،٢٠٠٥م، المركز الثقافي العربي، بيروت ، لبنان.
- الوحي الحقيقة التاريخ، نحو قراءة جديدة للقرآن مقال مجلة الثقافة الجديدة ، محمد اركون.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٢٢١
خطة هذا البحث	٢٢٣
المبحث الأول : مفهوم التاريخية	٢٢٤
مفهوم التاريخية في الفكر الغربي	٢٢٤
مفهوم التاريخية في الفكر العربي	٢٢٧
المبحث الثاني : مصدرية الوحي	٢٣٢
تعريف الوحي	٢٣٢
مصدرية الوحي عند الحداثيين والعلمانيين	٢٣٣
مرتكزات القدح في مصدر الوحي عند الحداثيين	٢٣٧
أولاً :إنكار وجود إله لهذا الكون تكلم بالوحي	٢٣٧
ثانياً :إنكار أن يكون الوحي نزل من عند الله سبحانه وتعالى	٢٤٠
ثالثاً: مفهوم النبوة عند الحداثيين	٢٤٢
المبحث الثالث : لانهائية المعنى في الوحي عند الحداثيين	٢٤٥
أهم النتائج	٢٤٨
فهرس المصادر والمراجع	٢٤٩
فهرس الموضوعات	٢٥٢